الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

اقتراح للوزارة :

عادت الإذاعة أخيراً إلى برنامج « أعلام الأدب العربي » الذي كانت قد بدأته ثم قطعته منذ شهور . وهي تجري في هذا البرنامج على تقديم البارزين في تاريخ الأدب العربي ابتداء من العصر الجاهلي ، كامرئ القيس والأعشى وعنترة والمهلهل والنابغة الذبياني ، وتختار للتحدث عنهم كبار الأساتذة ، تعين لكل منهم من يتحدث عنه . وقد لوحظ أن الأساتذة المتحدثين يسلكون في تقديم تلك الشخصيات المسلك التقليدي المعروف في كتب تاريخ أدب اللغة العربية المتداولة في المدارس وغيرها ، وقد وفى مؤلفو هذه الكتب تلك الشخصيات من الدراسة ما يربو على المطلوب للإذاعة ، فلا يحتاج تقديمها للمستمعين إلى كبير عناء .

وفي الإذاعة برنامج آخر يشبه هذا البرنامج في شهرة أعلامه وقرب منالهم ، هو برنامج « أعلام الإسلام » ويقدمه أيضاً كبار الأساتذة .

وأضم إلى ذينك البرنامجين أحاديث الصباح الدينية التي يقدمها الأعلام من علماء الأزهر ، وهي مثلها في سهولة الإعداد ووفرة المصادر ، فقد جرى هؤلاء الأساتذة على أن يشغل متحدثهم خمس دقائق بشرح حديث من الأحاديث النبوية الشريفة ، المختارة من كتب الحديث المعروفة وهي مخدومة في شروح وافية

تلك البرامج الثلاثة لها قيمتها الأدبية والعلمية والدينية ، ولها أثرها في التثقيف والتقويم والتهذيب ، فلا يتبادرن إلى ذهنك أني أهون من أمرها بذلك الوصف ، إنما أقصد إلى الاقتراح التالي :

أرى أن تطلب الإذاعة إلى كليات الجامعة وكليات الأزهر ، أن تختار لها من طلبتها من يصلحون لتقديم تلك البرامج ؛ ولا شك أن الطلبة الذين يختارون لن يجدوا أية صعوبة في القيام بهذا العمل لتوافر المصادر وخاصة المؤلفات الحديثة المنظمة السهلة الأسلوب .

ولهذا الاقتراح ثلاث فوائد : الأولى تدريب الشباب وإفساح المجال أمامهم ، ولا بد أن تظهر من بينهم « وجوه جديدة » فمن العدالة إتاحة الفرص لمواهب الناشئين . الثانية مساعدة الطلبة على مواجهة أعباء المعيشة وخاصة في هذه الآونة التي استشرى فيها الغلاء . الفائدة الثالثة لخزانة الإذاعة ، فإن الطالب يكتفي بجنيه واحد تدفعه إليه بدلا من عشرة لأحد الكبار الذين لن يضيرهم أن ينتفع أبناؤهم مهما كانت تضحيتهم .

وهذا الاقتراح أقدمه بالجان لإدارة الإذاعة ، فلا أكلفها ما يتقاضاه منها عضو بالمجلس الأعلى لقاء جلسة يقترح فيها مثل هذا الاقتراح ، وهذه فائدة مادية ثانية للإذاعة . ومن الله الأجر والثواب .

ارسمي شجرة الزقوم :

نشرت جريدة « الأساس » مقالا بتوقيع « أمين صفوت » حمل فيه على صعوبة الامتحانات ، وأورد أمثلة من الأسئلة الصعبة ، منها سؤال في الرسم لطالبات السنة الثانية بالمدرسة السنية ، نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم . إنا جعلناها فتنة للظالمين . إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم . طلعها كأنه رءوس الشياطين . فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون . ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم . ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم ...

« ارسمي ما تتخيلينه بعد قراءة الآيات السابقة عن الجحيم وشجرة الزقوم وعذاب المجرمين في الآخرة »

فماذا يتخيل هؤلاء الطالبات المسكينات عن الجحيم وشجرة الزقوم وما عليها من رءوس الشياطين ؟ إنه لخيال لو قرأناه في « رسالة الغفران » لأبي العلاء المعري ، أو في « الكوميديا الإلهية » لدانتي اللاجيري — لعددناه من الإعجاز الأدبي ، فما بالك بطالبات في أول المرحلة الثانوية يطالبن بهذا الخيال وبرسمه؟

ويدافع بعض أساتذة الرسم عن مثل هذه الأسئلة بما هو أعجب منها ، فيقولون إنهم لا يريدون أن يقفوا بفن الرسم عند « القلة والزير » وإنما يريدون أن يروضوا الطلاب على التعبير عن العواطف وتصوير الانفعالات ، أوهم يريدون على الحقيقة أن يأتي الناشئون بالخوارق والمعجزات فيصورون عالم الغيب غير مكتفين بعالم الشهادة ...

ولو أن هذا النمط من الأسئلة أو من تعليم الرسم ، يؤخذ به طلاب تحققت لديهم الميول الفنية ، لهان الأمر ؛ ولكنهم فى تعليم عام يحتشد فيه الجميع من ذوى الميول والاستعدادات المختلفة ، وليس يطلب من جميعهم أن يكونوا فنانين فى الرسم مقتدرين على التعبير والتصوير ، بل يكفى فى هذا التعليم العام أن تفرض الأصول والخطوط الأولى فى الرسم . وليس تكليف الناشىء العادى أن يكون فناناً معبراً فى الرسم ، إلا كمطالبته بإنشاء قصيدة من الشعر أو كتابة موضوع من الأدب الرفيع أو قصة من القصص الإنسانى ، وليس كل ذلك إلا كمطالبته بإضافة أو وضع نظرية فى العلوم الطبيعية ، وقل مثل ذلك فى سائر ما يتلقاه من العلوم والفنون .

أما بعد فقد سمعنا أن مشيخة الأزهر ستنشىء معهداً للبنات ، وإنى أشير عليها أن تستعير من المدرسة السنية الأستاذ الفاضل الذى وضع سؤال « شجرة الرقوم » وتسند إليه تدريس « رسم مشاهد القيامة » لبنات المعهد الأزهرى لأنهن سيكن ، بمشيئة الله ، أقدر من تلميذات السنية على الخيال المستمد من آيات القرآن الكريم

وظيفة الصحافة :

ذكرت فى الأسبوع الماضى أن أعضاء اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية ، اشتكوا فى أثناء الاجتماع الذى نظروا فيه مسألة ترقية السينما العربية من أن الأفلام العربية ليست فى المستوى الراقى الذى ينشد منها وأنها تنافى أحياناً الأخلاق العامة والمبادىء القويمة ، ورجوا توصية الحكومات العربية لإصلاح هذا النقص .

ولست أرى تدخل الحكومات فى ذلك مجدياً أو ناجعاً إلا أن يكون « تأميا » وأن يكون لدى الحكومة فنيون قادرون مخلصون للعمل ، يستطيعون أن يقوموا بتنفيذ هذا التأميم على الوجه المنشود . أما بغير ذلك فإن عمل الحكومة المباشر لا يتعدى حذف ما ينافى الأخلاق والآداب العامة . وها هى وزارة الشؤون الاجتماعية تؤلف اللجان للنهوض بالسينما ، فتجتمع وتنفض ، وتنظر وتقرر ، وكل شىء فى السينما كما هو : أفلام بلا موضوع ، وقصص تجرد من قيمتها ، وتسلية فارغة ، ومجون مسف .. الخ

ولست أدعو إلى تأميم السينما ، فليست الحال ملائمة له ، وإنما أريد أن أقول إن الجمهور — من حيث إقباله أو إعراضه — هو أهم عامل فى ترقية السينما أو استمرار تفاهتها وسخفها . وقد ثار الرأى العام المستنير على هذه الأفلام ، وبدأ الجمهور يعرض عنها إعراضاً يدخل فيه الوعى والملل من تكرر الحوادث المتشابهة ، إلى جانب سوء المعيشة . وأحس السينمائيون بكل ذلك إحساساً يرجى أن يؤدى إلى الأخذ فى التحسن .

ثم أنتقل بعد ذلك إلى شىء آخر غير الأفلام التى شكا منها أعضاء اللجنة الثقافية كما يشكو منها الجميع ، ذلك الشىء هو نوع من الصحافة عندنا ، أقرنه بتلك الأفلام لأنه يماثلها فى أن كلا منهما « دون المستوى الراقى الذى ينشد منه ، وأنه ينافى أحياناً الأخلاق العامة والمبادىء القويمة » وأقصد هذه المجلات التى لا ترمى إلا إلى كسب القراء عن طريق التسلية الفارغة والمجون المسف كالأفلام حذواً ... فكل شىء يكتب للترفيه الخاوى والإضحاك الهابط ، ولا شىء وراء هذا أو ذاك من متعة فنية أو ثقافة نافعة ، وفتيات هذه المجلات لا تقل إغراء ولا فتنة عن كواكب تلك الأفلام ، وكثيراً ما تكون هذه هى تلك ..

وإنى أسأل بعد ذلك ، وأنا أنظر إلى من خلف هذه الصحف من المخرجين والمشرفين عليها : ما هى رسالتهم ؟ ويقف السؤال مشفقاً من استخذاء الجواب ... فكل ما يبغون هو الربح المادى ، أى أنه ليس لهم رسالة ثقافية أو فنية أو إصلاحية . وننظر إلى الوراء فنعبر السنين الماضية الغبرى ما كانت عليه الصحافة من قبل ، كان كل من يصدر صحيفة أو مجلة لابد أن يرمى إلى غاية من تلك الغايات ولو مكرها بدافع الحياء من الناس ... وحتى المجلات الفكاهية كانت ذات موضوع ، فلم يكن هزلها خالياً من الأهداف الجدية .

وقد تقدمت الصحافة اليوم تقدما كبيراً ينتبط له وإن كان فيه ما يؤسف ، وهو ما يشغل بعض الصفحات من الهذيان الذى يقدم منسوباً إلى الآداب والفنون ، ثم ذلك اللون التافه المسف من المجلات التى لا غاية لها تحمد عليها .

وقد ثار المستنيرون على هذه الأفلام وازور الجمهور عنها . وهذه الصحافة لا تقل عن تلك الأفلام جدارة بالشكوى منها — فمتى تنال من الاستنكار والإعراض ما يجعلها تحس إحساساً يؤدى إلى الأخذ فى التحسن ؟

اللجنة الثقافية واليونسكو :

ختمت اللجنة الثقافية للجامعة العربية اجتماعاتها بلبنان يوم الأربعاء الماضى ، وتوجه على أثر ذلك إلى دمشق أعضاء الوفد المصرى فى اللجنة برياسة الأستاذ محمد شفيق غربال بك ، تلبية لدعوة وزارة المعارف السورية ، وعاد الوفد بعد ذلك إلى مصر .

وقد أتيت فى الأسبوع الماضى بأهم قرارات اللجنة فى الشؤون الثقافية العربية ، وكنت ذكرت قبل أن ستعرض على اللجنة فى اجتماعها بلبنان مسألة موقف الدول العربية من مؤتمر اليونسكو وما يلابسه من طلب تأجيله وسعى اليهود للاشتراك فيه . وأذكر اليوم أن اللجنة رأت أن تسير فى طريق الإعداد للمؤتمر ، فدرست المسائل التى تتعلق باجتماعه فى بيروت وأقرت خطة المساهمة فيه وتنظيم مظاهر النشاط الثقافى والعلمى والأدبى والفنى الذى سيصحب المؤتمر طوال مدة اجتماعه ، ويطلق على هذه المدة « شهر اليونسكو » .

ثم اتخذت اللجنة قراراً يقضى بتأييد الحكومة اللبنانية فى تمسكها بعقد المؤتمر ببيروت فى موعده المحدد فى أكتوبر القادم . ومن مصر كتب معالى السنهورى باشا وزير المعارف إلى سفير مصر فى فرنسا أن يطلب باسم الحكومة المصرية مؤازرة الحكومة اللبنانية فى خطتها بشأن عدم تأخير عقد مؤتمر اليونسكو عن موعده الأصلى وعدم تغيير بيروت كمقر للمؤتمر .

ولا يسع المتتبع للظروف المحيطة بهذا الموضوع إلا أن يتساءل : هل يجتمع مؤتمر اليونسكو حقاً بلبنان فى موعده الأصلى ؟ ويبعث على هذا التساؤل ما قرره المجلس التنفيذى لليونسكو بباريس من قبول إسرائيل العضوية فى مؤتمر لبنان بصفة عضو مراقب إذا طلبت ذلك .. وهى لابد ستطلب . ولن يقبل العرب الاشتراك فى المؤتمر وفيه الصهيونيون بأى صفة من الصفات ؟ لذلك يبدى بعض أعضاء اللجنة الثقافية شكه فى أن يتم اجتماع اليونسكو فى لبنان ما دامت المشكلة الفلسطينية قائمة .

طموح الأدب فى الحجاز :

وقع فى يدى أخيراً كتاب « أريد أن أرى الله » فسررت به ، لأنه كتاب واحد من إخواننا أدباء الشباب بالحجاز ، وما إخال أدباء الحجاز إلا شباباً . أولئك الذين وجدت البذور الكامنة فى تلك البلاد متأففة فى ثقافتهم الحديثة ، فنبتت وترعرعت ، وجعلت تبهر الأنظار بما تؤتى من الثمرات الطيبات .

ومن أولئك الشباب الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار صاحب كتاب « أريد أن أرى الله » وهو مجموعة أقاصيص يفتح بها باباً جديداً فى الأدب الحجازى الحديث . وتحتوى هذه المجموعة على قصتين اختار أولاهما وهى « أريد أن أرى الله » من قصص تولستوى ، والثانية من تاجور . ثم خمس قصص مؤلفة بدت فيها موهبته وقدرته على العرض والتحليل ، ونبدو فى هذه القصص صور ظريفة من البيئة المحلية ، رسمها المؤلف بدقة ، وأشاع فيها كثيراً من الظرف والدعابة .

ليس المقام للاسترسال فى الحديث عن تلك القصص ، وإنما أريد أن أعبر عن اغتباطى بنفحة من نفحات الحجاز .

من طرف المجالس :

أقبل صاحبنا فاراً ، وأخذ مجلسه متهالكا ، ثم أرسل الصعداء ...

— مالك ؟

— محاضرة !

— ألست قد فرغت من إعدادها ؟

— أتظن أنى أعد محاضرة لألقيها ؟ كلا ، لقد ألقيت علىّ محاضرة ... صبت علىّ ... إننى أعلم وقع هذه المحاضرات التى يحسب أصحابها أن ما يقولونه لا يعلمه إلا هم ، فيبدئون ويعيدون ، ويطيلون ويثقلون ، ولا يحسبون حساباً لما يشعر به السامعون من ملل وأسف لضياع الوقت . ولا أطيل عليكم كما يطيلون ، فقد رأيت بالأهرام أن الدكتور فلان سيلقى محاضرة بنادى كذا . ولست سريعاً إلى تلبية الدعوات إلى المحاضرات . ولكن الدكتور فلان محدث طلى صاحب فكرة ، وهو صديقنا ، فذهبت لألقاه هناك وأستمع إليه ساعة . فما راعنى إلا اعتذاره من عدم الحضور وقيام أحد الحاضرين ليحل محله . وانهال علينا المحاضر « التطوع » فأطال وأمل ، وأنا أتململ ... ومنعنى الحياء أن أغادر المكان . وهكذا وقعت فى الفخ ، ومن مأمنى أتيت ...

قال له أحد الجلساء : تعيش وتسمع غيرها !

وقال آخر : لقد كانت إذن محاضرة « مبرحة » !

عباس محمود